كعب : كأنك يا أمير المؤمنين تشك في ذلك الكتاب؟

عمر : قد علمت أنكَ اخترَعْتَه كما اخترعت سائرَ أساطيرِك وأكاذيبِك .

كعب : يا أمير المؤمنين لا حقّ لك أن تتّهِمَني في ديني بغير بيّنة ولا بُرهان .

عمر : يا ابن اليهودية اني قد نَهَيْت الناس أن يكثرُوا من الرواية عن نبيهم محمد ﷺ خَشيَةَ أن يتزيّدوا عليه أفآذنُ لك أن ترْوي للناس من أساطيرك وأكاذيبك؟ أخرُج من عندي .

كعب : يا أمير المؤمنين لتندَمَنّ على طردي من عندك .

عمر : أخرج .

كعب : سامحك الله يا أمير المؤمنين . لتعلمَنّ غداً انني من المؤمنين المخلصين .
(يخرج)

موقع الأديب
علي احمد باكثير
www.bakatheer.com

المشهد السابع

في بيت عمر

حجرةٌ متوسطة بين داخل البيت وبين البهْو الذي يستقبل فيه الناسَ . باب في أقصى يسار المسرح يؤدي إلى الداخل وباب في أدنى يمين المسرح يؤدي إلى البهو .

الوقت : غلس الصبح

يرى عمر راقداً على وسادة من ادم وهو مَغشِيٌّ عليه وعليه ثوبٌ ينضَحُ بالدم من جراحه وعنده عبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن عباس والمسور بن مخرمة .

ابن عوف : (كأنه ينبهه) يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين !

ابن عباس : في غَشْيَة واحدة منذُ احتملناه من المسجد.

المسور : لقد طالت غشْيَتَهُ .

(تدخل أم كلثوم والدمع في عينيها وبيدها إناءٌ فيه ماء فترشّ منه على وجه عمر)

أم كلثوم : انظروا. إنه لا يحسّ ببرد الماء . واعُمراه! وا أمير المؤمنيناه !

ابن عمر : رويدك يا أم كلثوم . إنما غُشِي عليه من فُرْط ما نزف من الدم .

أم كلثوم : لكني قد عصَبْت جراحه .

ابن عمر : الساعة يَفِيق إن شاء الله .

ابن عباس : عندي سبيلٌ لايقاظِ أميرِ المؤمنين إن كانت به حياةٌ .

ابن عوف : كيف يا ابن عباس ؟

ابن عباس : أدُعوه إلى الصلاة .

ابن عوف : (بأعلى صوته) الصلاة يا أمير المؤمنين . الصلاة قد صُلّيت .

عمر : (عمر ينتبه من غشيته) الصلاة ؟

ابن عوف : لم تُصَلّها بعدُ يا أمير المؤمنين .

عمر : لا ها الله إذن لا حظَّ لا مرعى في الإسلام ضيّعَ صلاتَه (يثب لينهض فيعجِز فيساعدُه ابنه عبدالله وأم كلثوم) صليْتَ بالناس مكاني يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : نعم يا امير المؤمنين كما امرت .

عمر : أخرج يا ابن عباس فاسأل الناس أكان هذا عن مَلَاءٍ منهم وأصدُقْني الحديثَ .

ابن عباس : سمعاً يا امير المؤمنين (يخرج ويخرج خلفه المسورُ بن مخرمة) .

عمر : انتظروني قليلاً حتى أتوضّأ وأُصلي (يخرج متحاملاً على ابنه وزوجه) .

(يدخل عبيد الله بن عمر وفي وجهه الغضب).

عبيد الله : اين ابي .

ابن عوف : افاقَ من غشيتـه ودخل يتوضأ ويصلي . ما خطبك ؟ إني ارى في وجهك ملامِح شر.

(يدخل عبدالله بن عمر)

ابن عوف : هلا بقيت عندهما يا عبدالله ؟

عبد الله : قد امتلأَ البيتُ الساعة بنسوةٍ من آل عمر أختي حفصة أم المؤمنين وعمتي فاطمـــة وعاتكة بنت زيـــد والشفاء بنت عبدالله وغيرهن .

عبيد الله : أهو الآن في الصلاة ؟

عبد الله : نعم تركتُه حين كبّر .

عبيدالله : (بصوت خافض) والله لأقتلنهم اجمعين.

عبد الله : ماذا تقول ؟

ابن عوف : من تعني ؟

عبيد الله : الذين قتلوا أبي .

ابن عوف : من هم ؟

عبيد الله : هؤلاء العلُوجُ الذين في المدينة . الهرمزان

وجفينة وابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة .

ابن عوف : اتق الله يا اخي ولا تعجل . إن اباك امرَ الساعة ابنَ عباس ليسأل عمّن طعَنَه .

عبيد الله : الذي طعنه هو ابو لؤلؤة ولكن الهرمزان وجفينـة مُتَوَاطِئان معه .

ابن عوف : كيف ؟ من اين عرفت ؟

عبيدالله : ان عبد الرحمن بن ابي بكر مرَّ على هؤلاء الثلاثة امس وهم نَجِيٌّ فلما بغَتَهم ثارُوا فسقط من بينهم خنجرٌ ذو حدّين نصابُه في وسطه .

ابن عوف : تقول خنجر ذو حدين نصابه في وسطه ؟

عبيد الله : نعم . هل تعرف عنه شيئاً ؟

ابن عوف : اللهم إني رأيت مثْلَه منذ أيام .

عبيد الله : مع من ؟

ابن عوف : خبِّرني أولاً أنت سمعت ذلك من عبدالرحمن ابن أبي بكر ؟

عبيد الله : لا إني ما لَقِيتُه بعد .

ابن عوف : فكيف عرفت ؟

عبيد الله : حدثني بذلك رجلٌ ثقة .

ابن عوف : من هو ؟

عبيدالله : استحلفني ألاّ أُبوح باسمه لأحد .

عبيد الله : ويحك أتعتَمِدُ على رجل يخْشَى أن يؤَدِّيَ شهادتَه ؟

عبيد الله : إنه قال لي سل عبدَ الرحمن بن أبي بكر .

عبدالله : لعل الرجل كاذبٌ فتّان فاستيقِنْ أولاً من ابن أبي بكر قبل أن تَتَّهِمَ الناس .

عبيد الله : أنا ماضٍ اليه الساعة فإن صحَّ ما رَوَى لي لأفعلنَّ بهم الأفاعيلَ .

عبد الله : حذَارِ يا عبيد الله . حذار أن تاتِيَ أمراً تُغضِب به أباك وهو فيما هو فيه .

(يخرج عبيد الله)

عبد الله : تقول أنك رأيت ذلك الخنجرَ الذي وَصفه عبيدُ الله ؟

ابن عوف : أجل رأيته منذ أيام مع جُفينة والهرمزان.

عبدالله : مع جفينة والهرمزان .

ابن عوف : رأيت أخاك عبيدَ الله كهَيْئَة السبع فلم أشأ أن أذكرَهما له لئلا أُهَيِّجَه .

عبدالله : أحسنت يا ابن عوف . أحسَنَ الله اليك . إن عُبيدَ الله لمتهوِّر سوّار . صه ! هذا أبي قد أقبل .

ابن عوف : إياك أن تذكرَ له شيئاً.

عمر : (صوته من خلف الباب) أتركاني . إني أستطيع المَشْيَ وحدي. الحمد لله (يدخل فيوسّع له عبد الله ويعينه على الجلوس) ألم يعُد ابن عباس بعد ؟

ابن عوف : الحمد لله إنك لبخيرٍ يا أمير المؤمنين .

عمر : إن كان مَن يمُوتُ بخيرٍ يا عبد الرحمن فإني

بخيرٍ . أين ابن عباس ؟ اريد ان اعرِفَ من قتلني وأنا في الصلاة . اللهم لا تجعله أحداً من المسلمين (يتأوه) .

ابن عوف : أتتألم يا امير المؤمنين؟

عمر : ما وجدْتُ منذ وعَيْت نفسي كاليوم ألماً قط . إني لأحسه كالنار في جسَدِي كله . إن لم يكن قاتلي من المسلمين فلا أُبالي .

ابن عوف : بأبي انت وامي يا امير المؤمنين .

عبد الله : يا ليت هذا ألألمَ فينا من دونك .

عمر : كلا يا بُني لا تتمنَّ شيئاً عسى ألا تصبِرَ عليه. آه وددتُ لو استطعتُ ألا اشعُرَ به. اين ابن عباس ؟

عبدالله : أأخرج يا ابي لأسألَ لك ؟

ابن عوف : ها هوذا ابن عباس قد عاد .

(يدخل عبدالله بن عباس والمسور بن مخرمة)

عمر : اللهم غفراً غفراً. ماذا وراءك يا ابن عباس؟

ابن عباس : جئتك بالنّبإ اليقين يا امير المؤمنين . لا والله ما رأيتُ عيناً تطرف من خلق الله من ذكر وانثى إلا باكِيةً عليك . يفدُونك بالآباء والأمهات .

عمر : ما عَلِمُوا ولا اطّلَعُوا ؟

ابن عباس : ما علموا يا أمير المؤمنين ولا اطلعوا .

عمر : أصدقني يا ابن عباس .

ابن عباس : هذا المسور بن مخرمة كان معي يا أمير المؤمنين .

المسور : اي والله يا أمير المؤمنين ما علموا ولا اطلعوا على شيء ولَودُّوا لو زاد اللهُ من أعمارهم في عمرك .

عمر : (يتهلل وجهه) الحمد لله ما كانت العرب لتقتلَني . لقد كذب عدوُّ الله فيما زَعَم .

ابن عوف : من هو يا أمير المؤمنين ؟

عمر : الشيطان . الحمد لله . هات يا ابن عباس .

ابن عباس : اما الذي طعنَكَ يا أمير المؤمنين فهو فيروزُ المجوسيّ غلام المغيرة بن شعبة .

عمر : الغلام الصَّنَع ؟؟ أبو لؤلؤة ؟

ابن عباس : نعم .

عمر : قاتله الله لقد أردتُّ به معروفاً . الحمد لله الذي لم يجعلْ قاتلي يُحاجّني عند الله بسجدةٍ سجدَها له قط . لقد طَعَنَني طعنتَيْن وإني لأظنّه كَلِباً حتى طعَنَني الثالثة .

ابن عباس : وأصابَ بعدك يا أمير المؤمنين اثني عشر من المصلين فهم في دمائهم حتى يقْضِيَ اللهُ فيهم ما هو قاض .

عمر : وتركوا عدو الله يفر من بين أيديهم ؟

ابن عباس : لا بل أحاطُوا به يا أمير المؤمنين والقى أحدُهم عليه برْنُساً فطرَحه أرضاً فلما أيقن

العلجُ أنه مأخوذٌ قتل نفسه بالخنْجر الذي معه .

عمر : الحمد لله .

ابن عوف : لو أخذوه حيّاً يا أمير المؤمنين لكان أفضلَ .

عمر : ما يدريك يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : إن كان له شركاءُ أخْبَرَ عنهم .

عمر : الخيرةُ فيما اختارَ الله عز وجل .

ابن عوف : لقد أُنسِينا يا أمير المؤمنين أن نَبْغِيَ لك طبيباً ينظر جُرحَك ؟

المسور : أنا آتيكَ به يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا ليس الآن . ويحكم كيف أنظرُ في أمر نفسي قبل أن أنظرَ في أمور المسلمين ؟

ابن عوف : إن أمرَك يا أمير المؤمنين لمن أمور المسلمين وريْثَما يأتي به المسور من ديار بني معاوية تكون قد فَرَغْت من أمور المسلمين .

عمر : هيهات إن أمامي لأموراً جَمّة والذهن

كليلٌ والباقي من العمر قليلٌ .

ابن عوف : انطلِق يا مسور إلى ديار بني معاوية .

المسور : حالاً يا خال . (يخرج)

(يدخل أسلم دامع العين)

أسلم : يا أمير المؤمنين بالباب كثيرٌ من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار يريدون أن يسلّمُوا عليك .

عمر : يا عبدالله ويا ابن عباس اخرُجا أنتما إليهم وقُولا لهم إني بخير وانتظِرا معهم حتى أخرجَ اليهم .

(يخرج عبد الله بن عمر وابن عباس وأسلم)

عمر : يا عبدَالرحمن ما تَرَى لو عهدْتُ إليك؟

ابن عوف : إن أنت أشرْتَ عليَّ قبِلْتُ منك. أنشدكَ اللهَ يا عمرُ أتشيرُ عليَّ بذلك ؟

عمر : اللهم لا .

ابن عوف : إذن والله لا أدخُلُ فيه أبداً .

عمر : فيمَنْ تشِير عليّ ؟

ابن عوف : أحد هؤلاء الذين تُوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم رَاضٍ .

عمر : بأيهم تُشِيرُ ؟

ابن عوف : أنت يا أمير المؤمنين أعلمُ بهم مني .

عمر : قد بلَوْتُهم جميعاً فرأيتُ منهم حرصاً سيِّئاً على الإمرة ما خلا سعيدَ بن زيد .

ابن عوف : فاختره إذن يا أمير المؤمنين .

عمر : ويلك يا ابن عوف أنصَحُ لك ولا تنصحُ لي ؟ ألا تعرف أنه ابن عَمِّي ؟ كنت أظنك أحسنَ بي ظنّاً من ذلك .

ابن عوف : هَيْهات لي يا أميرَ المؤمنين فواللهِ ماأردْتُ إلا خيراً .

عمر : فهب لي صمْتاً حتى يأتِيَ الله برأي أفضل.

ابن عوف : افعل يا أمير المؤمنين .

عمر : قد كان الله أَلهَمَني الرأيَ الأفضلَ يا عبد الرحمن لو لم يحُلْ هذا الأجلُ دونه.

ابن عوف : وما هو يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لو طوّفت بأمصار المسلمين مصراً مصراً فأعرف ما لا يبلُغُني من أحوالهم واقْضِي ما لا يصلُ إليَّ من حوائجهم وأستَشِيرُهم أثناءَ ذلك في أحبِّ الناس اليهم أن يلي من بعدي هذا الأمرَ .

ابن عوف : نعم الرأيُ هذا لو كان اليه سبيلٌ .

عمر : فاحفظه يا ابن عوف عسى أن يعملَ به مَنْ بعدي.

ابن عوف : هيهات يا ابن الخطاب لا يقْوَى على هذا احدٌ غيرك . ومن للناس بمثلك يا عمر ؟

عمر : اتّقِ الله يا عبد الرحمن بل يقضي الله ما يشاء اذا شاء .

(يدخل عبدالله بن عمر) .

عمر : ماذا وراءك يا عبدالله ؟

عبدالله : هذا كعبُ بن ماتعٍ يا أمير المؤمنين رَوَى لي حديثاً واستحلفني ان ابلّغه اليك.

عمر : وحلفت له ؟

عبدالله : نعم

عمر : قاتله الله . لن ينتهي من اساطيره حتى يصيبه الله بقارعةٍ . هات اذا قال .

عبدالله : قال كان في بني اسرائيلَ ملكٌ اذا ذكرناه ذكرنا عمرَ واذا ذكرنا عمرَ ذكرناه. وكان الى جنبه نبيّ يوحى اليه فاوحى الله الى ذلك النبي ان يقولَ له اَعهدْ عهدَك واكتب وصيتك فانك ميت الى ثلاثة ايام فاخبرَه النبيُّ بذلك فلما كان اليوم الثالث وقعَ بين الجدارِ والسريرِ ثم جاء الى ربه فقال اللهم ان كنت تعلمُ اني اعدلُ في الحكم واذا اختلفت الأمور اتبعتُ هدَاك

وكنت وكنت فزد في عُمري حتى يكبر طفلي وتربوَ أمتي . فأوحى الله الى النبي أنه قد قال كذا وكذا وانه قد صدق وقد زدْته في عمره خمسَ عشرةَ سنةً ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته .

عمر : اللهَ اللهَ ويريد كعبٌ أن أدعوَ الله كما فعل ذلك الملكُ ؟

عبد الله : أجل يا أمير المؤمنين قال لئن سأل عمرُ ربه ليبقينَّه اللهُ .

عمر : لا والله لا أفعل .

ابن عوف : ماذا عليك يا أمير المؤمنين لو دعوت فلعل اللهَ يستجيبُ لك ؟

عمر : كلا يا ابن عوف. لقد كنت أدعو اللهَ ربي: اللهم قتلاً في سبيلك وموتاً في بلد نبيِّك وقد استجابَ اللهُ دعائي فكيف أدعوه اليوم بغير ذلك ؟

ابن عوف : من أجل رعيتك يا أمير المؤمنين ثمّ الشهادة بعد ذلك .

عمر : ويحك يا عبد الرحمن أحسبُني قد حدثتك بما زَعم لي كعب منذ ثلاثه أيام .

ابن عوف : أجل يا أمير المؤمنين .

عمر : فقد خَشِيَ اليوم أن أنجُوَ من طعْنَتي هذه فأعيشُ فيتبيّن كذِبُه .

ابن عوف : ولذلك رَوَى هذا الحديث ؟

عمر : هو ذاك .

ابن عوف : إذن فلا بدّ ان يكونَ على عـــلم بسرّ ابي لؤلؤة .

عمر : لا شكّ في ذلك فإنَّ كُتُبَ الله ما أنزِلَتْ لتعد ايام فلان وفلان .

عبد الله : فعلامَ لا تأمُرنا يا اَبتِ فيه ؟

عمر : لا عقوبةَ بغير بينة وأنّى لك البينة ؟

عبدالله : لقد ظهر نفاقه يا امير المؤمنين .

عمر : ان كان منافقاً يا بني فقد عرفتَ سِيرَةَ رسول الله ﷺ في المنافقين وان كان غيرَ ذلك فلأن يكب أبوك على وجهه في نار جهنم أهونُ عنده من أن يمسَّ مسلماً بظُلم . هلمّ بنا نخرجْ إلى الناس فقد أبطأتُ عليهم .

(ينهض متحاملاً على نفسه)

اكتُمَا هذا الحديث حتى لا تكون فتنةٌ في الناس .

(يتوجه نحو باب البهو معتمداً على عبدالرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر) .

المشهد الثامن

في بيت الهرمزان

يرى الهرمزان جالساً والحزن بادٍ عليه وهو واجمٌ لا يتكلمُ وإلى جواره امرأتهُ أم القماذبان وقد وقف أمامها ابنها القماذبان وهو يحدثها في حماسةٍ .

أم القماذبان : تقولُ استطَعْتَ أن تَرَى أميرَ المؤمنين ؟

القماذبان : نعم رأيتُه من بعيد . لَمحْتُ وَجْهَهُ من الزِّحام وهو في فِنَاءِ دَاره قد خرج للناس وعنده كِبارُ الصحابة ، الناسُ من حولهم يسلّمون على أمير المؤمنين ويدعُون له بالعافِية .

أم القماذبان : الحمدُ لله هذه بُشْرَى خير . إن أميرَ المؤمنين إذن بخير .

القماذبان : أجلْ انطلَقْتُ من عنـــدك وعلى وجوه الناس القَلَقُ والكآبَةُ ورجعت اليك وعلى وجوهِهم السكينةُ والاستبشارُ .

أم القماذبان : الحمد لله . الحمد لله . اللهم احفَظْ أمير المؤمنين للاسلام اللهم أهلِكَ كلَّ من يَكيدُ للاسلام .

القماذبان : ولكنّ وجْهاً واحداً يا أماه بقي واجماً كئيباً كما تركتُه .

أم القماذبان : تعني وجْهَ أبيك يا قماذبان ؟

القماذبان : نعم يا أماه فهل تعرفين ما خَطبُه ؟

أم القماذبان : منذ سمِعَ بالحادثَ وهو كالمذهُول .

القماذبان : من فُرْط حبِّه لعمرَ ؟

أم القماذبان: لا رَيب .

القماذبان : فالناسُ جميعاً تُحبّ عمر وقد اكتأبَتْ

لنبأ اغتياله ثم استبشرَتْ لنجاتِه ولكن أبي بَقِي في ذُهوله ووُجومِه لم يتغيّرْ .

أم القماذبان: أجل يا هرمزان ألا تفرحُ لنجاةِ أميرِ المؤمنين ؟ ألم تسمعْ البُشْرَى ؟ ماذا بكَ يا زوجي الحبيب ؟ ألا تتكلّم ؟

الهرمزان : يا ليْتَني أنا الذي قُتِلت مكانَ أميرِ المؤمنين؟

القماذبان : اتْفُلْهَا من فَمِك . إن أمـــير المؤمنين لم يُقتل . إن الله نجّاه وحماه .

أم القماذبان: لعلّ أباك لم يسمَعْ ما قلتَ .

القماذبان : ماذا منعه يا أماه ؟ أكان أصمّ ؟ فكيف إذن سَمِعَ نبأَ اغتيالِه ؟

الهرمزان : يا ليت عمرُ ينجو منهـــا وليَرْمني اللهُ بصاعِقَة !

أم القماذبان : معاذ الله لِمَ يا زَوْجي تدعُو على نفسك ؟ لم لا ينجُو اميرُ المؤمنين وتسلمُ أنت له ؟

الهرمزان : لا أريد أن أعيشَ اذا مات عُمرُ ؟

القماذبان : فعلامَ تمنَّيت أن تموتَ إذا عاشَ عمرُ ؟

أم القماذبان : رُوَيْدكَ يا بني مالي أراكَ اليوم على غير عادَتِك مع أبيك ؟

القماذبان : وهل تَرَيْنَه هو على عادَته ؟

أم القماذبان : هذا الحادثُ قد أطارَ صوابَه يا بني

القماذبان : لو كان يحِبّ عمَر حقاً لهُرعَ اليه إن لم يكن لنجْدَته فلرُؤْيتــه أو السُّؤَالِ عن صحته .

الهرمزان : ان ابنَكِ يتّهِمُني يا مرداوند !

أم القماذبان: مَعاذ الله يا هرمزان .

القماذبان : بلى يا أماه لو كان يحب عمر حقاً لما لَزِمَ بيته كالنساء . حتى النساء يا أماه رأيتُ جماعاتٍ منهن على بابِ أميرِ المؤمنين .

أم القماذبان : إنما أراد أن يقولَ إنكَ قصَّرتَ في حق عمرَ صاحِبكَ .

الهرمزان : لا بــل أراد أن يتهمني بأمرٍ آخرَ يا مرداوند .

أم القماذبان: بماذا ؟

الهرمزان : سَلِيه .

القماذبان : بل سَلِيه هو فهو أعلم بتُهْمَتِه .

أم القماذبان: إني والله لا أفهمُ مما تقولان شيئاً .

القماذبان : أتأذنُ لي يا أبي أن أصارِحك أمامها ؟

أم القماذبان: (تنهض) لعل الأفضل أن أترككَ مع ابنك.

الهرمزان : كلا . لا تخرُجي . ابقَيْ معنا . هاتِ ما عندك يا بني .

القماذبان : اتذكرُ يا أبي يوم زُرْنا اميرَ المؤمنين في بيْتِه ؟

الهرمزان : (في رقة) كان ذلــك آخرَ عهْدِي بأمير المؤمنين .

القماذبان : أكنت يا أبي يَومَئِذٍ تعلمُ ذلك؟

الهرمزن : رِفقاً بأبيك يا بني .

القماذبان : من حقي يا أبي أن أعرفَ حقيقةَ الأمر .

الهرمزان : ماذا تريدُ أن تعرِفَ ؟

القماذبان : ماذا كان يقصِدُ أميرُ المؤمنين إذْ ذكر لك الديكَ الأحمرَ الذي رآه في منامِه ؟

الهرمزان : أنت كنتَ معي يومئذٍ يا بني . لقد كان يمزحُ معي ويُعاتِبُني لانقِطاعي عنه .

القماذبان : أما كنت تعلَمُ يومئذ أن أبا لؤلؤة سيكون هو الديكَ الأحمر ؟

الهرمزان : أكنت أعلمُ الغيبَ يا بني ؟

القماذبان : فيروز يا أبي ليسَ بِغَيبٍ عليك . لقد كان من خُلَصائِك .

الهرمزان : من خلصائي ؟ كلا . كان يزورُني أحياناً مثل كثيرين غيره من العَجَم الذين بالمدينة .

القماذبان : لكنك كنت تخلُو به دائماً كلّما جاء وما قدّمتَه الينا قَط .

الهرمزان : لم أشأ أن يكونَ لأهلي به خلطَةٌ .

القماذبان : لماذا ؟

الهرمزان : لما أعلم من سُوءِ خُلُقِهِ وشَراسَتِهِ .

أم القماذبان : يا بني لِمَ كلّ هذه الأسئلة توجِّهُها إلى أبيك ؟

الهرمزان : لأنّه أصبحَ سَيِّءَ الظنِّ في أبيه .

القماذبان : أنت الذي دفعْتَني إلى ذلك بما أثَرْتَ من شكوكي حولك .

الهرمزان : ماذا رَابَك مني يا بني ؟

القماذبان : أشياءُ كثيرةٌ أكّدها عندي أن أميرَ المؤمنين طُعِن اليوم فلزِمْت البيت ولم تُهرَع لرؤيته وأنت تعلم حبّه لك وتعلُّقه بك .

أم القماذبان : إن شئْتَ الحقَّ يا هرمزان فقد كان هذا تقصيراً كبيراً منك .

الهرمزان : والله إني لأحبُّ أميرَ المؤمنين ولودِدْتُ لو جُعلت فداءه من كل سُوء وما منعني

من الإسراع اليه اليوم إلا حادثٌ غيرُ ذي
بالٍ اتفق لي أمس فأصبح اليوم ذا بال .

القماذبان : ما هو يا أبي لماذا كتَمْتَه عني ؟

الهرمزان : كنتُ واقفاً مع جفينـــة أمس في بعض
طرقاتِ المدينة نتحدّثُ إذ مرّ بنا الشقيُّ
أبو لؤلؤة فسلّم علينا وإذا في يده خنجرٌ
له رأسان نصابه في وسطه فقلنا له ما تصنع
بهذا في هذه البلاد ؟ فلم يُجِبْ على سؤالنا
إذ لَمَحَه رجلٌ من المسلمـــين فاضْطَرَب
ووقعَ الخنجر من يـده في الأرض فلم يقُل
الرجلُ شيئاً فلمامضَى عرفْنا أنه عبدُالرحمن
ابن أبي بكر .

أم القماذبان: لعنَةُ الله على فيروزَ . مـــاذا كان يقصِدُ
بعَرْض خنجرِه عليكما ؟

الهرمزان : انها المقاديرُ يا مرداوند ساقَتْه الينا في تلك
الساعة المنْحُوسَة ثم سَاقَتْ الينا عبدالرحمن
ابن أبي بكر .

القماذبان : كأنك خَشِيت يا أبي أن يشْهدَ عليـــكم
عبدالرحمن بن أبي بكر .

الهرمزان : والله يا بني ما اضطَرَبْت في حيـــاتي
قط مثلَ اضطرابي اليوم . لوددت لو أني
كنتُ حينئـذ نادَيْتُ عبد الرحمن بن أبي
بكر وبيّنت له جليّة الأمر . ولكن من
كان يَدُور بخَلَده قط أن الخبيثَ يمكن
أن يُقْدِم على مثلِ هذه الخيانه المُرَوِّعةِ ؟
(يبكي) والله يا بني ما بي خوفُ العقوبـة
التي لا أستحقها ولو كانت الموتَ ولكني لا
أدري كيف أُطِيقُ أن تقعَ عيني في عيْن
أميرِ المؤمنين إذا مَا هَجَسَ في ظنِّه أنني
أنا صديقُه الحميمُ كنتُ شريكاً في جريمَةِ
اغتيالِه ؟

القماذبان : سامحني يا أبي . الآن فَهِمْتُ عذرَك .
(يقرع الباب فيضطرب الثلاثـة ثم يخرج
القماذبان ليفتح الباب)

القماذبان : (صوته) هذا عمي جُفَينة .

الهرمزان : دعه يدخل يا بني. لقد جاء في الوقتِ المناسب .

(يدخل جفينة مع القماذبان فيحيي الهرمزان وامرأته) .

الهرمزان : لقد جئت في الوقتِ المناسبِ يا جفينة . إني حدَّثت امرأتي وابني الساعة بالصَّدُفَة السيِّئة التي وقعَتْ لنا أمس مع الشقِيّ أبي لؤلؤة وعبدِ الرحمن بن أبي بكر .

جفينة : وأنا جئت الساعة من أجل هذا الأمر . أنت صديقُ أميرِ المؤمنين يا هرمزان فعليك أن تُبادِرَ اليه فتشرَحَ له جليّة الأمر حتى لا يتهمنَا إذا بلغتْه شهادةُ عبد الرحمن بن أبي بكر .

الهرمزان : وما يدريك يا جفينةُ لعل الشهادة قد بلغَتْه .

جفينة : حتى لو بلغته فمن الخير لنا بعدُ أن تذهبَ أنت اليه فتقولُ له ما عندك قبل أن يستدعوك ويسألُوك .

القماذبان : هذا يا أبي رأيٌ أوجهُ وأصوبُ .

أم القماذبان: أجل لا أدري كيف فاتَنَا أن نشيرَ عليك به من قبل .

القماذبان : توكل على الله يا أبي وانطلق الآن فتؤدّي الواجبَ وتنفِيَ عنكما التهمة .

الهرمزان : الأمرُ لله . أعطيني قميصي يا مرداوند .

جفينة : أنا ذاهب (يتوجه نحو الباب لينصرف) .

الهرمزان : انتظرني لنخرجَ معاً .

جفينة : كلا ليس من الخير أن نَرَى معاً اليوم (يخرج) .

أم القماذبان : (تحضر القميص) هلم ألبسُك قميصَك . ما خطبك ؟ ماذا جَرَى ؟

الهرمزان : (يتمتم في تردد) يدعوني لمقابلةِ أمير المؤمنين لابرّئه هو من التُّهمة !

القماذبان : يا أبي إذا نفيتَها عنه فقد نفيتها عن نفسك.

أم القماذبان : هيا يا سيدي لا تتردّد (تلبسه القميص) .

الهرمزان : (بصوت يخالطه البكاء) استودِعُكما الله . اني ذاهبٌ إلى أمير المؤمنين ولكن لن أرجعَ من عنده .

أم القماذبان: ماذا تقول ؟

القماذبان : ماذا أنت فاعلٌ ؟

الهرمزان : (يتفجر باكياً) أنا ذاهبٌ لاعترفَ لعمرَ بالجريمة .

القماذبان : لتعترف ؟

أم القماذبان: بالجريمة ؟

الهرمزان : أجل . لقد كنتُ مُتواطِئاً مع أبي لؤلؤة على قتل عمر .

أم القماذبان: يا إلهي ! غيرُ معقول !

الهرمزان : تلك هي الحقيقةُ .

القماذبان : تقتلهُ وهو يحبُّك ويعزّك ؟

أم القماذبان : وبعد كل الأيادي التي له عليكَ ؟

الهرمزان : مكتوب عليّ الشقاءُ يا مرداوند . والله لولا ان الإسلام يَحرّمُ الانتحارَ لانتحرتُ نَدماً على أمير المؤمنين . أواه لا أنْسَى ابداً كلماتِه لي كأني اسمَعُها الساعة . والله يا هرمزان اني لأحِبّك وإني لأرجو أن يغفرَ الله لي بإسلامِك ما لا أرجوه بأيّ عملٍ آخرَ . وأرجو أن يأتِيَ وشيكاً اهلُكَ وعيالك فيعيشُوا معك في المدينة فيطمئن بهم بالُك ويستقرَّ حالُك (ينخرط الثلاثة في البكاء)

القماذبان : تَبّاً لك يا أبي كيف تقتلُ رجلاً هذا حالُه معك ؟

الهرمزان : من أجل ذلك يا بني أريدُ أن اعترفَ له بذنْبي كفارةً لي .

أم القماذبان : كلا لا تفعلْ كيف تُواجِهُ الناسَ غداً إذا علموا أنك اشتركْتَ مع الكليب أبي لؤلؤة في قتلِ أمير المؤمنين ؟

الهرمزان : غداً تنكشِفُ الحقيقَةُ للناس سواءٌ اعترفتُ أو لم أعترِفْ .

(يقرع الباب فيرتاع الثلاثة ثم ينطلق القماذبان ليفتح)

القماذبان : (يعود) هذا يا أبي كعْبُ الأحبار .

الهرمزان : (كالمتضايق) ماذا جاء به في مثْلِ هذه الساعة ؟

أم القماذبان : ما يُدرِيكَ ؟ لعله جاء بفرَجٍ من الله .

الهرمزان : أدخل يا كعب .

(يدخل كعب)

كعب : السلام عليكم .

أم القماذبان: وعليك السلام ورحمة الله . ادرِكْنا أيها الرجلُ الصالح فإنّا في بلاءٍ عظيم .

كعب : هذا مصابٌ ألمَّ بالمسلمين كافة ولا حولَ ولا قوة إلا بالله .

أم القماذان : لكنَّ مصابنا نحن أعظمُ .

كعب : (في ارتياب) ما الخطْبُ يا هرمزان ؟ ماذا جرَى ؟ لماذا لا تتكلّمُ ؟

أم القماذبان: أنا أقول لك . إن زوجي ذاهِب إلى أمير المؤمنين لِيَعْترفَ له بأنه شريكُ أبي لؤلؤة في دَمِه .

كعب : (يراع) ماذا تقُولين ؟ لا أستطيعُ أن أصدّقَ ما أسمعُ .

أم القماذبان: سله يا سيدي فهو أمامَكَ .

القماذبان : أجل يا سيدي هذا حقٌّ .

كعب : أحقاً يا هرمزان ؟

الهرمزان : نعم .

كعب : أجُننْتَ يا رجلُ ؟

الهرمزان : لا تخفْ يا كعبُ فلن أعترفَ إلا على نفسي ولن أذكر اسمَ أحدٍ غيري .

كعب : (يلحظ الدَّهشَ في وجهي الزوجة والابن) ما هذا ويلك ؟ ان الذي يسمعُ قولَك هذا ليظنُّ انك تُدخِلُني في تلك الجريمةِ معك.

الهرمزان : كلا لستَ معي فيها . أنا وحدي المشتركُ فيها مع الشّقيّ أبي لؤلؤة .
اطمأننت الآن ؟

كعب : كلا يا هرمزان . انك أخي في اللهِ وعليّ لك أن أنصحك لا ينبغي أن تفضَحَ نفسك وتفضَحَ أهلك معك . إن كنت ارتكبتَ ذنباً فتُب إلى الله واللهُ خيرُ التَّائبين .

الهرمزان : إن أردتُ التوبةَ حقاً فمن تمام تَوْبتي أن اعترفَ لأمير المؤمنين .

كعب : الله هو الذي يتوبُ عليك لا أمير المؤمنين.

الهرمزان : (يجهش بالبكاء) لن يستريحَ قلبي حتى أعترفَ لأمير المؤمنين .

كعب : ويح أمير المؤمنين . لعلك لا تصلُ اليه إلا وقد قَضَى نحْبَه .

الثلاثة : (مرتاعين) ماذا تقولُ ؟

القماذبان : لقد كنتُ هناك منذُ قليلٍ وكان بخير إذ خرجَ إلى فِناء دارِه للناس .

كعب : أجل . كان ذلك قبل حضُورِ الطبيب فلما حضَرَ سقَاهُ لبناً فخرج اللبنُ أبيضَ كما هو فقال له أعهد يا أميرَ المؤمنين قال عمر : صدقت ولو قلت غيرَ ذلك لكذَّبتُك .

الهرمزان : إذن والله لأدركنَّه قبل أن يموتَ عسى أن يسامِحَني فيما كان مني .

كعب : (يستوقفه) على رسلك يا أخي .

الهرمزان : دعني . دعني .

كعب : استمعْ إلى كلمةٍ مني ثم امضِ بعدها إن شئت .

الهرمزان : قلْها وعجِّلْ .

كعب : إن كنت تحب أميرَ المؤمنين حقاً وتحبّ له الخيرَ وترجُو له العافية والشفاء ، فلا تذهبْ إليه فإني لا آمن إذا ما سَمِعَ أن صديقَه الحميمَ الذي قرَّبه اليه قد خانَه وتواطأ عليه مع الكليب أبي لؤلؤة أن يصْدِمَه هذا النبأُ فيقضِي عليه .

الهرمزان : ويْلك ألم تقلْ آنفاً انه لا رجاء فيه وانه يُوشِكُ أن يقضِيَ نحبَه ؟

كعب : بلى ولكن الأعمار بيَدِ اللهِ يا هرمزان وقد أُوتِيَ أميرُ المؤمنين بنْيَةً قوية فعسى أن يتغلَّبَ على جراحِه ويعيشَ وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ .

أم القماذبان: سمعَ الله منك يا كعبُ . سمع الله منك .

كعب : آمين .

القماذبان : أجل يا أبي نشدْتُكَ اللهَ ألا تذهبَ اليه . دع أميرَ المؤمنين في سَلام فلعلّ اللهَ ان يشفِيَهُ ويُعافِيَه .

أم القماذبان : اللهم أشف أميرَ المؤمنين واحفظْه للاسلام والمسلمين .

الهرمزان : (باكياً) آمين . آمين .

(تخلع زوجته القميص عنه)

كعب : الحمدُ لله .. الحمد لله رب العالمين .

المشهد التاسع

« في بيت عمر »

نفس المنظر كما في المشهد الثامن الوقت بعد صلاة الظهر .

يرى عمر مضطجعاً على فراشه وعنده ابنه عبد الله والمغيرة بن شعبة والناس يدخلون ويخرجون يسلمون عليه ويدعون له ويتقدم اليه شاب من الأنصار .

الشاب : أبشِرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرَى الله عز وجل. لك من صحبةِ رسولِ الله ﷺ وقدمٍ في الإسلام ما قد علمتَ ثم وُلّيتَ فعدَلْتَ ثم شهادةٌ .

عمر : ويحك يا فتى الأنصار لوددْتُ أن ذلك كان كَفَافاً لا عَليّ ولا لي .

(يخرج الشاب)

عمر : كأنه ينتبه من غفلة) ويلكم رُدّوا عليّ الشابَ .

عبدالله : الأنصاري ؟

عمر : نعم .

عبدالله : انه انصرف يا أمير المؤمنين .

عمر : اجْرُوا خلفَه وردُّوه .

عبدالله : انطلق يا أسلم وقل له أجِبْ أمير المؤمنين.

(يخرج أسلم منطلقاً)

المغيرة : ماذا تريد منه يا أمير المؤمنين ؟

عمر : ويلكم ألم تَرَوْا إزارَه يَمسّ الأرضَ ؟

(يعود أسلم ومعه الشاب الأنصاري)

الشاب : دعَوْتَني يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم . إني رأيتُ إزارَك يَمسُّ الأرضَ . يا ابن أخي إرفَعْ ذيلَ إزارِك فإنه أنقى

لثوبك وأتقى لربك .

الشاب : جزاكَ الله خيراً يا أمير المؤمنين (يخرج)

عمر : إنطلق يا أسلم فادعُ لي علياً وعثمانَ وسعداً والزبير وعبد الرحمن بن عوف .

أسلم : سمعاً يا أمير المؤمنين (يخرج)

المغيرة : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . حتى في شِدَّةِ الوجع لا تنْسَى النصحَ لرعيتك .

عمر : هيه يا ابن شُعْبة ما حبسك عنـــدي بعد انصِرافِ الناس ؟

المغيرة : معذرة يا أمير المؤمنين . كلمةٌ أريد أن أسرَّ بها اليك وأخرى أهابُ أن أقولها لك أمام الناس .

عمر : هاتِ ولا تُطِلْ .

المغيرة : لِمَ لا تستَخْلِف يا أمير المؤمنين ؟

عمر : وما يُدريك ؟

المغيرة : بلَغَني يا أمير المؤمنين .

عمر : ولِمَ تريدُني أستخْلِف ؟

المغيرة : حتى لا يختَلِفَ الناسُ بعدك كما استخلفَكَ أبو بكر حتى لا يختلف الناسُ بعده .

عمر : انّ خيراً مني ومن أبي بكر لم يستَخْلِفْ .

المغيرة : يا أمير المؤمنين عند وفاةِ رسول الله ﷺ كان أبو بكر وعمرُ . وحين يتوفاك الله لن يكونَ أبو بكر ولا عمرُ .

عمر : دعني من هذا يا مغيرة . ان أستخلِفَ فقد استخلف من هو خيرٌ مني وان أترك فقد تركَ من هو خير مني ولن يضيّع اللهُ دينه . لا والله لا أتحمَّلُها حيّاً وميتاً .

المغيرة : ان كنت تخشى من ذلك يا أمير المؤمنين فأين أنت من عبد الله بن عمر ؟

عمر : قاتلك اللهُ . والله مـــا اردْتَ الله بهذا . لا أرَبَ لنا في أموركم وما حمِدْتُها فارغبُ فيها لأحدٍ من أهل بيتي . إن كان خيراً

فقد أصبْنا منه وإن كان شراً فبحسْب آل عمرَ أن يحاسَب منهم رجلٌ واحد ويسألَ عن أمة محمد ﷺ . أما لقد جَهَدْت نفسي وحرمْتُ أهلي وإن نجَوْت كفافا لا وِزْر ولا أجر ، اني لسعيدٌ . اليك عني .

المغيرة : والكلمةُ الأخرى يا أمير المؤمنين ، فقد وعدْتَني بها .

عمر : هاتِ .

المغيرة : هذا الشقيّ اللّعين أبو لؤلؤة .

عمر : ما باله ؟

المغيرة : لم يجْنِها وحدَه يا أمير المؤمنين .

عمر : أكنت أنت شريكُه ؟

المغيرة : مَعاذ اللهِ يا أمير المؤمنين لوَدِدْتُ والله لو أصابني من دونِكَ

عمر : ما كان لِيَعْتَدِيَ عليّ لولا أنك ظلمْتَه.

المغيرة : يا أمير المؤمنين ذلك ما أريدُ بيانَهُ لكَ .

ما كان العِلْجُ يشكُو ظلماً مني وما كانت الشكْوَى إلا تَعِلَّة : إذن لكان أحْرَى أن يقتلَني أنا الذي ظلمتُه ولكان قتْلي عليه أيسرَ . إنما كان حاقِداً عليك لأمر آخرَ وعلى اتفاقٍ وتَواطُؤٍ مع عُلوجٍ آخرين.

عمر : يا ابن شعبة أتحبُّني وتحب مَسرّتي ؟

المغيرة : اللهم نعم .

عمر : قد وقع أمرُ الله وكان قدراً مقْدوراً فأعرضْ عن هذا حتى لا تكونَ بين المسلمين فتنةٌ .

المغيرة : هؤلاء ليسوا مسلمين يا أمير المؤمنين .

عمر : بلى . بعدما صلُّوا صلاتَنا وحجُّوا قبلتَنا وتكلَّموا بلساننا إنهم اليوم مثلي ومثلك .

عبد الله : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل الشورى قد أقبلوا .

عمر : هيا انصرف يا ابن شعبة واذكر عهدك لي .

المغيرة : سأفعل يا أمير المؤمنين (يخرج)
(يدخل علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام) .

عمر : مرحباً بكم يا أصحابَ رسول الله . إني دعوتكم لأعهدَ اليكم فلعلّي لا أراكُم بعدُ لَيلتكم هذه . أين أُخوكم طلحةُ ألم يعد بعد ؟

الزبير : لا يا أمير المؤمنين ما زالَ طلحةُ في أمواله بالسَّراة .

عمر : طلحة شريككُم في الأمر فان قدِمَ في الأيام الثلاثة فاحضروه أمركم وإن مضَتْ الأيام الثلاثة قبل قُدُومِهِ فامضوا أمرَكم ومن لي بطلحةَ ؟

سعد : أنا لك به ولا يُخَالِفُ إن شاء الله .

عمر : أرجو ألا يخالف إن شاء الله ، إياكم أن تختَلِفُوا فانكم إن اختلَفْتُم جاءكم معاويةُ من الشام وعبدُ الله بن أبي ربيعة من اليمن

فلا يَرَيان لكم فضلاً لسابقَتِكم ، وإن هذا الأمرَ لا يصلُح للطُّلَقَاء ولا لأبْناءِ الطُّلَقاء. أنظروا فان أصابتْ سعداً فذاك وإلا فأيكم اسْتُخْلِفَ فليستعِنْ به فاني لم أعزِلْه عن عجْز ولا خيانَة ويحضر عبدُ الله بن عمر مُشيراً ولا شيءَ له من الأمر .

عثمان : يا أمير المؤمنين لا تُجْهِدْ نفسَك فإنّا قد وعينا ما تريد .

عمر : دعني يا عثمانُ فما زال عندي لكم مَقالٌ . أنشدُك اللهَ يا عليّ ان وُلِّيتَ من أمور الناس شيئاً ان تحملَ بني هاشم على رقابِ الناس . أنشدك الله يا عثمان ان وُلّيت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بني أبي مُعَيْط على رقابِ النـــاس وأنت يا سعدُ وأنت يا زبيرُ وأنت يا عبدَ الرحمن أنشدُكم الله وإن وُلّيتُم من أمور الناس شيئاً أن تحملوا أقاربَكم على رقاب الناس .

ابن عوف : اطمئِنَّ يا أمير المؤمنين فلن يكون منا إن شاء اللهُ الا ما تُحِب .

عمر : اني أُوصي الخليفةَ من بعدي بتقوى الله وبالمهاجرين الأولين أن يحفَظَ لهم حقَّهم وأن يعرفَ لهم حُرْمتَهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فانهم رِدءُ الاسلام وغيظُ العدو وجباة المال ألاّ يؤخذ منهم الاّ فضلَهم عن رضاً منهم . وأوصيه بالأنصار الذين تَبوَّءُوا الدار والايمان أن يقبلَ من مُحسنهم ويتجاوزَ عن مسيئهم ، وأوصيه بالأعراب خيراً فانهم أصلُ العرب ومادّةُ الاسلام وأن يُؤخَذَ من حواشي أموالِهم فيُردّ على فقرائهم وأوصيه بذِمّة الله وذِمّة رسوله أن يُوفى لهم بعهدهم والا يكلَّفوا الا طاقَتَهم وان يُقاتل من ورائهم اللهم هل بلغت ؟ لقد تركتُ الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة . انصرفُوا ان شئتم .

الجميع : جزاك الله عنا وعن المسلمين خيراً يا أميرَ المؤمنين (يخرجون) .

(تدخل حفصة أم المؤمنين وفاطمة بنت الخطاب وأم كلثوم وعاتكة فيجلسن حوله)

عمر : أين مَوَالِيَّ ؟ أدعُوا لي موالِيَّ كلهم.

أسلم : سأدعوهم لك يا أميرَ المؤمنين ؟ (يخرج).

حفصة : ألا نأتي لك بشيء تأكلهُ يا أمير المؤمنين ؟

عمر : وما يصنعُ أبوك اليوم بالطعام ؟

حفصة : ولو قليلاً يا أمير المؤمنين .

عمر : لا كثيراً ولا قليلاً يا حفْصَةُ . إن الله قد أغْنَى أباك عن الطعام .

حفصة : ولا ترغبُ يا أبت في شيء تشربُه ؟

عمر : لوَدِدْتُ يا بنيّتي لو يسْقِني الطبيبُ اليوم ذلك اللبنَ . إذن للقيتُ ربي وأنا صائمٌ .

(تبكي حفصة ثم تنتحب وتنتحب الأخريات)

حفصة : وا أبتاه ! واصهْرَ رسولِ الله !

أم كلثوم : وا أمير المؤمنيناه . واعُمراه !

عاتكة : وا بعْلاه ! وابن عماه !

فاطمة : وا أخاه ! واعُمراه !

عمر : مه . مه . من كان باكيـــاً فليخرجْ . إني أُحرِّج عليك يا حفصةُ بما لِيَ عليك من الحق وأحرِّجُ عليكن جميعاً أن تندُبْنني أو تنحْنَ عليّ فأما الدمع فإني لا أملكُه .

(يكففْن عن البكاء)

(يدخل أسلم ويرفأ ويسار وسعد الجاري)

عمر : وأين أخوكم وُسَّق الرومي ؟

أسلم : بحثْت عنه يا أمير المؤمنين في كلّ مكان فلم أجدْه .

الآخرون : لم نَرهُ يا أمير المؤمنين منذُ الصباح .

عمر : تدرُون لماذا دعوتُكم ؟

الجميع : لا يا أمير المؤمنين .

عمر : إني قد أعتَقْتُكم فأنتُم أحرارٌ لوجهِ الله .

الجميع : (بصوت واحد) فِيمَ يا أمير المؤمنين ؟ ألا تُبْقِينا في خدمتكَ ؟

أسلم : (يبـــكي) حنانيك يا أمير المؤمنين . لا تُقْصِنَا عنك .

عمر : هيهات يا أحْبابي فإني لن أعيشَ .

أسلم : فلتُبقِنا ما دمْتُ حياً يا أمير المؤمنين .

الآخرون : أجلْ يا أمير المؤمنين أبْقِنا ما دُمْت حياً .

عمر : فرْقُ ساعة أو ساعتين .

الجميع : وإنْ .

عمر : اشهدُوا يا آل عمر إذا مِتُّ فمَوالِيَّ جميعاً أحرارٌ لوجه الله .

الجميع : (يَهْوُون على قدَميْ عمر يقبّلونهمـــا وهم يبكُون) ليتنا نموتُ قبلك يا أمير المؤمنين فلا نُعتَقُ أبداً .

عمر : ويلكم تجلَّدُوا يا غِلْمان . من ذا يقوم بخدمتي

الساعة إذا شغلكم البكاء ؟ إنهضوا ويلكم .

(ينهضون ويمسحون دموعهم)

عمر : انطلقْ أنت يا أسلم فادعُ لي أبا طلحة الأنصاري وأنتم ابحثوا لي عن أخيكم وسّق حتى تأتوني به .

الجميع : سمعاً يا أميرَ المؤمنين (يخرجون) .

(يُسمع اذان المؤذّنِ لصلاة العصر)

عمر : الصلاة : أنهضوني لأتوضّأ .

حفصة : ألاَ نأتيك يا أبتِ بالوضوء حيث أنت ؟

عمر : لا ، إني أريدُ أن أتطهّرَ من هذا الدمِ حتى ألقى ربي نظيفاً .

حفصة : نخرج نحن يا أبتِ من عندك فإن الحركة تهيضُكَ .

عمر : كلا .. إني سألتُ اللهَ ربي أن يَقبضني إليه غيرُ عاجزٍ ولا مَلوم (يتحامل على

نفسه فيعينه ابنه عبدالله حتى يستويَ قائماً ثم يعتمدُ على أم كلثوم وعاتكة حتى يخرجَ الثلاثة) .

(يدخل عبيدُ الله بن عمر كالمتسلّلِ كأنه يخشى أن يراه أبوه .

عبيد الله : يتوضّأُ ويصلّي ؟

حفصة : نعم . أين كنتَ يا عبيدَ الله ؟

عبيدالله : (يزفر زفرةً حارة) آه .

حفصة : وجدتُ بيّنةً أخرى غيرَ شهادة عبدالرحمن ابن أبي بكر ؟

عبيدالله : نعم . عاينتُ الخنجرَ الذي وجدُوه مع أبي لؤلؤة فتذكرتُ أني رأيته ذاتَ يوم مع الهرمزان .

حفصة : الخنجر نفسه ؟

عبيد الله : هو بعينه .

حفصة : متى ؟

عبيد الله : أيّامَ الحجِّ .

عبدالله : يا أخي ان الهرمزانَ لم يحُجّ هذا العامَ .

عبيدالله : ليس هذا العامَ . في عامٍ آخرَ . عامَ حجّ مع أمير المؤمنين أول مرة .

عبدالله : منذُ أربعِ سنين ؟

عبيد الله : نعم .

عبدالله : ما يدريك لعلّه خنجرٌ آخرُ يشبِهُه ؟

عبيد الله : كلا بل هو بعينه . ولقد رآه أبي يومَذاك فلو أرَيْناه إياه لعرَفه .

عبد الله : وأنّى لك به ؟

عبيد الله : هوذَا معي (يبرزه ملفوفاً في خرق) .

عبد الله : ويلـــك من أين جِئتَ به ؟ نَبشْتَه من حُفرته ؟

عبيد الله : نعم .

عبد الله : ويلك ليفعلن بك الفاقِرَة إن علم انك

نَبَشْتَه بعد ما أمر باخفائِهِ في الأرض وطَمْرِه .

حفصة : أخفهِ يا عبيد الله ولا تُغْضِبْ أباك .

عبيد الله : (متأففاً) والله إن هذا لفوق ما نُطِيقُ . نَرَى قَتَلَةَ أبينا بين ظَهْرانينا فيأبى أبُونا إلا أن يتَستَّر على جريمتِهم !

عبد الله : صهْ لا يسمعُك !

عبيد الله : أنت أيضاً معهم علينا ؟

عبد الله : ان أميرَ المؤمنين نهانَا عن الخَوضِ في هذا الحديثِ وعلينا أن نسمعَ ونطيعَ .

عبيد الله : كلا لن نسمع ولن نطيع !

فاطمة : رُويدك يا ابن أخي إن أميرَ المؤمنين واجبٌ ان يُطاعَ وهو أعلمُ بما فيه خيرُ المسلمين .

عبيد الله : خيرُ المسلمين وشرُّنا نحن آل عمر ؟

فاطمة : مَعَاذَ الله أن يريد بنا عمرُ شرّاً . عمر لا

يريد بنا إلا خيراً .

(يدخل عمر متهادياً بين زوجتيه عاتكة وأم كلثوم)

عمر : عبيد الله أين كنت يا بني ؟

عبيد الله : يا أَبَتِ إني كنتُ أسعَى في حاجاتِ آلِ عمرَ .

عمر : وما ذاك الذي أخْفَيْتَه بين ثِيابِك ؟

عبيد الله : أرأَيْتَه يا أمير المؤمنين ؟

عمر : لمَحْتُه حين أخفيْتَه كأنك تخْشَى أن أراه.

عبيد الله : أجل يا أمير المؤمنين أتريد أن تَراه ؟

عمر : بل أريدُ أن أعرِفَ ما هو ؟

عبيد الله : شاهِدُ عدْلٍ يا أميرَ المؤمنين .

عمر : شاهدُ عدْلٍ على ماذا ؟

عبيد الله : على أن الهُرْمُزَان كان شريكاً في دَمِك .

عمر : (في غضب) يا عبدالله ويا حفصة ويا عبيدالله ألم أنْهَكم عن الخوْض في هذا الحديث؟

عبد الله : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : أوقد أمسَيْتُ ولا يطاعُ لي بين أهلي أمرٌ ؟

حفصة : معاذ الله يا أبت أمرك مُطَاعٌ في كل حين.

عمر : من عُبيدِ الله اريدُ الجوابَ .

عبيد الله : يا امير المؤمنين من حقنا أن نطالبَ بدمِ أبينا .

عمر : أعِدْ ما قلت !

عبيد الله : من حقنا أن نُطالبَ بدمك .

(ينظر اليه ملياً نظرة صارمة دون قول)

(يصمت الجميع كأنما على رؤوسهم الطير ويرثون لعبيد الله من نظرة عمر)

عبيد الله : يا أَبَتِ ارحمْني لا تنظرُ إلي هكذا . قلْ لي ماذا تُريد ؟

عمر : بخٍ ! بخٍ ! في بيت أميرِ المؤمنين يُدْعَى بدَعْوَى الجاهلية ؟

عبيد الله : يا أبت اغفرْ لي فلن أعُودَ إلى مثلِها .

عمر : يا عبيد الله بن عمر أنشُدُكَ اللهَ إن مات أبوك أن تشتَمِلَ على سيفك فتضرِبَ به يميناً وشمالاً غضباً لأبيك . يا عبيد الله بن عمر ليس لك ذلك إلا ببيِّنَةٍ وعلى يدِ السُّلطَانِ .

حفصة : فليكُنْ ذلك ببينة يا أمير المؤمنين وعلى يدِ السلطان .

عمر : كيف ؟

حفصة : تأمرُ أحدَ رجالك فيأتِيَ بالهرمزان وجفينة أمامك فتسألُهما عن هذا الأمرِ فسيكشِفُ لك اللهُ حالَهما إن كانا بريئَيْن أو مذنبَيْنِ .

(يدخل أسلم)

أسلم : هذا أبو طلحة يا أمير المؤمنين .

حفصة : ابعثْ أباطلحة يا أميرَ المؤمنين لهذه المُهمّة.

عمر : يا بنية بئسما أشرت على أبيك . كلا والله لا أدَعُ مصالحَ المسلمين وأبحثُ لي عن

قتلةِ آخرين . انما دعوتُ أبا طلحة لمهمة أخرى . ائذن له يا أسلم .

(تنسحب النسوة)

(يدخل أبو طلحة الأنصاري)

أبو طلحة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . كيف أم سُليم؟

أبو طلحة : تدعو لك يا أمير المؤمنين وتبكي ثم تذكُر رسول الله ﷺ فتفرحُ لك .

عمر : وما يدريها يا أبا طلحة ألاَّ يخالِفَ بي عن سبيله ؟

أبو طلحة : يا عمر إن رحمةَ الله واسعةٌ فلا تُؤْيِسْ الناسَ منها .

عمر : صدقت يا أبا طلحة وأحسنت المؤاساةَ .

أنا أبو طلحة وأسمّى زيدُ
وكلُّ يوم في جرابي صيدُ

أبو طلحة : هيهات يا أمير المؤمنين ذاك عهدٌ ألْوَتْ به الأيام .

عمر : يا ويْلَتـــا . الوقتُ قصيرٌ والحديث ذو شجون والاجلُ لا ينتظرُ . أصغِ إليّ أبا طلحة .

أبو طلحه : اني مُصغٍ يا أمير المؤمنين .

عمر : يا أبا طلحةَ لقد كنت سيفَ رسول اللهْ ﷺ ثم سيفَ أبي بكر ثم سيفي فجزاك اللهُ عن الاسلام خيراً وهذا يومٌ من أيامك قد ساقَهُ اللهُ من حيثُ لا تتوقّع فكُن كالعهدِ بك واستعن بالله وتوكلْ عليه .

أبو طلحة : يا أمير المؤمنين مُرني أطعْك بطاعةِ اللهِ ورسولهِ .

عمر : إذا أنا متُّ يا أبا طلحة فكنْ في خمسين من قومك الأنصار مع هؤلاء النَّفر أصحاب الشورى فانهم فيما أحسَب سيجتمعون في بيتِ أحَدِهم. فقُمْ على ذلك البابِ باصحابِك فلا تتركْ أحداً يدخلُ عليهم ولا تتركْهم

يمضي اليومُ الثالثُ حتى يؤمِّروا احدَهم . فان استقاموا فذاك والا فادخُلوا واضربوا أعناقَهم وليصلِّ بالناس في الأيام الثلاثةِ صُهَيْب مولى بني جُدْعان .

أبو طلحة : طِبْ بالاً يا أمير المؤمنين .

عمر : جزاكَ اللهُ عن الاسلام خيراً . إذهبْ فاختر قومك الأنصارَ . اللهم انت خليفَتي عليهم .

(يخرج أبو طلحة)

(تعود حفصة أم المؤمنين وفاطمة وعاتكة وأم كلثوم) .

حفصة : يا أبت أرجُو ألا أكونَ محلَّ غضَبِكَ .

عمر : عليـك أغضبُ يا أمّ المؤمنين ؟ إني أريدُ أن أخرُجَ من هذه الدنيـا وأنت راضِيَة عني وأنا عنك راضٍ .

عبد الله : وأنا يا أبت ؟

عمر : وأنت يا عبدَ الله وإن كنتَ لا تُحسِنُ طلاقَ إمرأتِك . إني لأزْهى بك في الآباء يا عبد الله بن عمر .

عاتكة : وأنا يا أميرَ المؤمنين ؟

عمر : أنا عنك راضٍ يا أم عياض يا ابنة العَمّ ويا جلاءَ الغَمّ وإنْ شرَطْتِ عليّ الشروطَ وحاولْتِ يوماً أن تُفسِدي بيني وبين أمِّ كلثوم .

أم كلثوم : وأنا يا أميرَ المؤمنين ؟

عمر : وأنتِ يا بنتَ رسولِ الله كيف لا أرضَى عنك وقد صَبَرْتِ على قليلِي وتحمَّلْتِ ما تحملتِ في سبيلي .

فاطمة : وأنا يا عمر ؟

عمر : وأنت كيف لا يرضَى عنكِ عمرُ وأنت التي هَدَيْت عمرَ ؟ أغفري لي أنت يا فاطمةُ وثبّتِي بزوْجِك ولطْمَتِي على

وجْهِك (ينظر إلى عبيد الله كأنه ينتظر منه الكلام) .

وأنت يا عبيد الله ما لَكَ لا تسألُ أباك ؟

عبيد الله : أخشَى يا أبتِ أن تُسْمِعَني ما لا أُحبُّ .

عمر : تبّاً لك يا غُدَر . أتظن أباك يسْخَطُ حقاً عليك ؟

عبيد الله : أحقاً يا أبي أنتَ راضٍ عني ؟

عمر : نعم إلا ما كان منك في عام الرَّمادَة إذ ذَبحْت شاةَ ابنك الرضيعِ وشويْتَها في التنُّور لتأكلَها وحدك من دون المسلمين فأخذها منك رجلٌ وبعث بها إلى أهلِ بيتٍ صالح من الأنصار .

(يضعف ويكاد يتهاوى فيتلقاه ابنه عبدالله فيضع رأسه على فخذه) .

(يدخل يرفأ وسعد الجاري ومعهما وُسَّق)

يرفأ : يا أمير المؤمنين هذا غلامُك وُسَّق الرومي قد جئناك به .

عمر : أدخل يا وُسَّق أدْنُ مني (يدنو منه وسق في خوف وخجل) ألم تعلمْ ما أصابني ؟ ألم تُردْ أن تراني قبل أن أموتَ ؟

وسق : (يبكي) سامحني يا أمير المؤمنين .

عمر : لا جُناح عليك إنما أردت أن أراك لأشْهِدُك أني قد أعتقْتُك فأنت حرٌ لوجه الله .

وسق : (يشتد بكاؤه) يا أمير المؤمنين . سامِحْني . سامحني .

عمر : ما خطبُك يا أخا الروم ؟

وسق : ولِي الأمانُ من غضبِكَ يا أمير المؤمنين؟

عمر : نعم .

وسق : لقد خُنْتكَ يا أمير المؤمنين إذ لم ابلّغْكَ ما فعلَ جُفينة .

عمر : (كالكاره) وماذا فعلَ ؟

وسق : استدْرَجني ذاتَ يوم إلى بيتهِ فَسَقاني الخمرَ ثم أخذْتُ أتردَّدُ عليه كلما حَننتُ إلى

الشَّراب فلما استوثقَ مني عَرَض عليّ أن أغتالَك يا أميرَ المؤمنين ووعدَ أن يُؤوِيَني عنده حتى أتمكَّنَ من الهرب إلى أرضِ الرّوم فيقدِّمني بكتابٍ منه إلى قيصَر ليكافِئَني ويقلِّدَني مَنصباً كبيراً عنده (يتململ عبيد الله ولكنه يتجلَّدُ ولا يتكلَّمُ) .

عمر : ولكنك رَفضْتَ .

وسق : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فبحسبي هذا منك .

وسق : بل كان عليّ يا أميرَ المؤمنين أن أُخبِرَك بأنه يعملُ جاسوساً لمَلك الرّوم عليكَ .

عمر : اللهم أعلمُه صاحبَ كُتّاب يعلّم أولادَ المسلمين القراءةَ والكتابةَ .

وسق : ليكونَ ستاراً يا أمير المؤمنين يُخْفي به حقيقةَ أمرِه .

عمر : ومن أجل ذلك يا وسّق هَرَبْتَ منا اليوم؟

وسق : أجل يا أمير المؤمنين لو كنتُ أخبرتُك لربَّما اتقيتَ هذا الذي أصابَك اليوم فإني لَمحْتُ هذا الكلبَ أبا لؤلؤة يوماً عنده .

حفصة : (في اندفاع) عنده في بيتِه ؟

وسق : نعم . (يهم عبيدالله أن يتكلم ولكنه يتراجع) .

عمر : هوِّن عليك يا وسّق . إن العجَمَ يستَرْوِحُ بعضُهم إلى بعض !

وسق : فسامحني يا أمير المؤمنين واعْفُ عني .

عمر : قد سامحتُك وعفَوْتُ عنك . إذهَبْ فانت حرّ لوجه الله .

وسق : (يبكي) جزيت خيراً يا أمير المؤمنين يا أكرمَ الناسِ وأبرَّ الناسِ (يخرج وينسَلّ خلفَه عبيدُ الله بن عمر)

(يدخل أسلم) .

اسلم : يا أمير المؤمنين بالباب أبو رَافع وعليٌّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس .

عمر : مرحباً بآل بيتِ رسول الله . ائذن لهم .

(تخرج النسوةُ ثم يدخل الثلاثة)

أبو رافع : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام مرحباً بمولَى رسول الله . مرحباً بالقادِمِ من مصر .

علي : معذرةٌ يا أمير المؤمنين وجدنا أبا رافع ذاهباً للسلام عليك فأتَيْنا معه .

عمر : مرحباً بكُما إني لأجِدُ فيكما ريحَ النبوَّة.

أبو رافع : ومعذرةً يا أمير المؤمنين إذ تقدّمتهُما فهُما اللذان قدَّماني .

عمر : مولَى القوم منهمُ ولك حقُّ القادِمِ من سفَر. متى قَدِمْتَ يا أبا رافع ؟

ابو رافع : الساعة يا أميرَ المؤمنين في وَفْدٍ من أهلِ مصرَ فيهم ابنةُ أختِ المقوقس .

عمر : أرمانُوسة ؟

أبو رافع : نعم وزوجُها يونُس بن مرقص .

عمر : الدمشقي صاحب خالد بن الوليد ؟

ابو رافع : هو يا أمير المؤمنين .

عمر : مرْحباً بهما في المدينة. لولا ما أنا فيه لأحببْتُ أن ألقاهُمَا . أتُرَاها أسلَمَتْ إذ تزوّجت يونس ؟

أبو رافع : لا يا أمير المؤمنين . بَقِيَتْ على دينِها .

عمر : أكرِمُوها . أكرِمُوها . ولو كنتُ بخير لتولّيْت اكرامَها .

أبو رافع : والبِطْرِيق بنيامين يُهدِيك السلام يا أميرَ المؤمنين .

عمر : كيف حالُه ؟

أبو رافع : بخير ويدعُو لك .

عمر : عادَ إلى كُرْسِيّ كنيستِه ؟

أبو رافع : نعم يا أمير المؤمنين وقد حمّلني أمانةً لأبلّغها إليك .

عمر : هاتِ .

أبو رافع : قال لي قلْ لعمرَ حين تَلْقَاهُ : الحمدُ لله لقد وجدْنا نحن القبط أَمْناً من الخوْف واطمئنَاناً بعد البلاءِ وصرفَ اللهُ عنا اضطهادَ الكفَرَة وبأسَهم، وإن مثلَ قومي القبط في فَرحهم بعهدكم هذا مثلُ الأسْخال قد حُلّتْ منها قيودُها وأُطلِقَتْ لتر تَشِفَ من ضُروع أمّاتِهَا .

عمر : ما أحسنَ ما قال . لطالَمَا حدّثني عمرو ابن العاص عنه حتى لتمنَّيتُ أن ألقَاه .

أبو رافع : وهو أيضاً يا أمير المؤمنين في شَوْقٍ أن يرَاك ولقد سُرَّ كثيراً حين قِيلَ له أنك تَزْمَعُ السفَرَ إلى مصرَ .

عمر : أجل كنتُ أريد ذلك ولكنَّ اللهَ أرادَ غير ذلك (تدمع عيناه) .

أبو رافع : ليس عليك بأسٌ يا أمير المؤمنين إن شاء الله.

عمر : ويْحك يا أبا رافع لئن لم يكُنْ عليَّ اليوم ليكوننَّ بعدَ اليوم ، وإن للحياةَ لنصيباً من القلب وإن للموت لكُربةً .

ابن عباس : يا أمير المؤمنين إن كربةَ الموتِ لَتَهُونّ فيما أنت صائرٌ اليه : الجنَّةُ إن شاء الله .

عمر : غُرَّ بهذا غيري يا ابنَ العباس. والله لو أنَّ لِيَ ما بين المشرق والمغرب لافتدَيْتُ به من هَوْل المَطْلِع .

ابن عباس : ولِمَ لا أقولُها لكَ يا أميرَ المؤمنين وقد فتحَ الله بك الفُتوحَ ومصَّر بك الأمصار ودفع بك النفاقَ وأفْشَى بك الرزقَ ولم يختلِف في خلافتك رجُلان ؟

علي : أجل يا أمير المؤمنين . لقد صدق ابنُ عباس .

عمر : أباالإمارَةِ تزكُّونني ؟ والله ما أصبحْتُ

أخافُ على نفسي إلا امارَتكم هذه .

ابن عباس : وبغيْرِ الامارَةِ يا أمير المؤمنين فواللهِ إن كان اسلامُك لعزّاً وإن كانت هجرتُك لفتحاً ولقد ملأت الأرض عدلاً وقُتِلتَ مظلُوماً .

عمر : (يتحامل على نفسه ليجلس فلا يقدر) تشهد لي بذلك يا ابن عباس عند الله يوم القيامة ؟

علي : نعم يا أمير المؤمنين نشْهدُ لك بذلك عندَ الله يوم القيامة .

عمر : الحمدُ لله . يا عبدَ الله بن عمر اضْغِ إليّ .

عبدالله : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : إذا أنا مِتّ فاحمِلوني على سريري ثم قِفْ بي على بابِ عائشَةَ أم المؤمنين فقلْ : يستأذِنُ عمرُ بن الخطاب . فإن أذِنَتْ لي فأدخلْني وإن لم تأذنْ فادفِني في مقابرِ المسلمين .

عبد الله : يا أميرَ المؤمنين إني قد استأذَنْتُها اليوم فأذِنَتْ .

عمر : أجل ولكني أخشَى ان تكونَ أذِنَتْ وأنا حيٌّ حيـــاءً مني لسُلطَاني . يا عبد الله بن عمر .

عبدالله : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : إذا أنا مت فأغمِضني واقصِدْ في كَفَني فان كان لِيَ عند اللهِ خيرٌ أبدَلَني خيراً منه وإن كنتُ على غير ذلك سَلَبني، وأسرِعُوا في المَشْيِ فإن كان لي عند الله خيرٌ تُقَدِّمُوني اليه وإلا فشرٌّ تضعُونَه عن رِقابكم . يا عبدَ الله بن عمر .

عبد الله : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : أنظرْ هل حانَتْ صلاةُ المغرب ؟

عبد الله : لا يا أمير المؤمنين . لم تغرُبْ الشمسُ بعدُ!

عمر : ضع رأسي على الأرض يا بُني .

عبد الله : يا أبت وهل فَخِذي والأرضُ الا سواءٌ ؟

عمر : يا بني ضَعْ خَدّي بالأرضِ .

عبد الله : يا أبت ان فخذي ألْيَنُ لك .

عمر : يا عبد الله اطِعْني لا أمَّ لك . الصِقْ خدّي بالأرض حتى لا يكونَ بين خَدِّي وبين الأرضِ شيءٌ .

(ينزل رأس عمر عن فخذه ويلصق خده بالأرض) .

عمر : (بصوت متقطع ضعيف) ويْلي ووَيْلُ أُمِّي إن لم يَغفِر اللهُ لي .

(يُغْمِضُ عبدُ الله عيْنَيْ عمر) .

ابن عباس : ما تصنع يا عبد الله ؟

عبد الله : أعمَلُ بوصِيَّةِ أبي .

ابن عباس : (في جزَع) أوَقَدَ ... ؟

عبد الله : نعم .

علي : لا حول ولا قوةَ إلا بالله .

أبو رافع : إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعُون .

علي : (تدمع عيناه) يرحمكَ اللهُ يا أبا حَفْص . ما خلَّفت أحداً أحبَّ اليّ أن القَى اللهَ بمثْلِ عَمَلِهِ منك . وأيمُ اللهِ إن كنتُ لأظنُّ ليجعَلَنَّك اللهُ مع صاحبَيْك . وذلك اني كنت كثيراً ما أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر .

« ستار »

موقع الأديب
علي احمد باكثير
www.bakatheer.com

خاتمة